

شخصية الحلاج الصوفية

□ ميلود شكار

أستاذ بقسم الفلسفة - جامعة الجزائر

في الحب الإلهي، وفي عقيدة الحلول والاتحاد، ووحدة الوجود والفناء وفي التنمية، كما يقول بالحقيقة المحمدية، وبالجبر، ووحدة الأديان، وآراء في وصف نظرتة إلى إبليس، ليختتم مذهبه بآراء في الشوق للقاء الله، فمذهبه الصوفي عبر عن كل هذه الأفكار.

1 - الحب الإلهي :

تعود أصوله إلى عمق الإسلام، فلقد جاء في القرآن الكريم: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾. ولكن لم يهتم المسلمون بهذه الفكرة (الحب الإلهي) إلا بعد أن ظهر التصوف وتطور في عصر "رابعة العدوية" التي اشتهر تصوفها بالتركيز على فكرة الحب الإلهي، ولكن دون أن تصل بها إلى حد المذهب، والسبب هو اهتمامها بالناحية العملية على حساب الناحية النظرية، ثم عند الحارث المحاسبي، وعند ذي النون

● المبحث الأول : ●

مذهب الحلاج الصوفي

اختلفت في حياة "الحلاج"، وفي مسيرته المأساوية، الجوانب الصوفية بالجوانب السياسية والاجتماعية، فكانت صوفيته فريدة من نوعها، لأنه اختار الطريق الذي يحقق به الفناء، وكان يدرك إدراكا تاما أنه يختلف عن سواه من المتصوفة، الذين عرفوا التعايش والألفة مع مذهب الفقه والدين ولم يرتفعوا باللغة إلى مرحلة الكشف، وكان يردد وكأنه يتحدث عن نفسه «الصوفي وحداني الذات لا يقبله أحد، ولا يقبل أحدا».

وهذا الاختلاف نجده كذلك في مذهبه الصوفي، "فالحلاج" لم يعتنق فكرة واحدة أو مذهباً واحداً، بل كانت له آراء مختلفة شملت كل المذاهب المعروفة في التصوف، فنجد له أقوالاً

المصري (توفي 245 هـ).

غير أن "الحلاج" وإن كان لم يبتدع نظرية الحب الإلهي، إلا أن هذه الفكرة تطورت على يده تطورا ملحوظا يفوق ما كانت عليه عند "رابعة العدوية"، وذلك عن طريق إعطائه إياها بعدا عميقا، ليصبح بعد ذلك أول من نظر للحب الإلهي بعمق، فهو يرى أن الحب - دون العلم - هو طريق المعرفة، ذلك لأن خضوع القلب للأمر الإلهي في كل لحظة بفعل المحبة أجدى في الوصال من المعرفة الفكرية، حتى أن العبد يكون أقرب إلى الله بفعل الحب أكثر من قرب به بفعل الفعل ويرى "الحلاج" أن أساس المحبة هو التضحية، وأن الحب يحب أن يشقى من أجل محبوبه، وهذا ما عبر عنه بشعره:

فكيف أصنع في حب كلفت به

مولاي، قد مل من سقمي أطبائي،

حبي لمولاي أضناني وأسقمني

فكيف أشكو إلى مولاي مولائي،

إني، لأرمقه والقلب بعرفه

فما يترجم عنه غير إيماني،

يا ويح روحي من روحي فوا أسفي

عليّ مني فإني أصيل بلوائي،

2 - الفناء:

هو من أهم المراتب الصوفية التي

مر بها "الحلاج"، والفناء يمثل خلاص الإنسان من نزعاته وأهوائه، وإرادته الخاصة، فيكون كل فكر لله وبالله، ويصبح صاحب الفناء لا يرى في الوجود إلا الله. والفناء عند "الحلاج" يتم بإرادته لكن إذا وصل إلى درجة الفناء أصبح لا يملك لا نفسه ولا إرادته، وينجم عن هذا حال لا يطاق، نظراً لاختلاف طبيعة العبودية، وطبيعة الألوهية، إذ يقول "الحلاج": «يا أهل الإسلام، أغيثوني، فليس يتركني ونفسي فأنس بها، وليس يأخذني من نفسي، فأستريح منها، وهذا دلال لا أطيعه». ويرى الحلاج أن الفناء يحصل بعد الدنو من الله والاستغراق في الوجود، ولقد عبّر عن رأيه هذا بقوله:

أدنيتني منك حتى

ظننت أنك أني

وغبت في الوجد حتى

أفنيتني بك عني

لهذا وجد "الحلاج" مخالفة كبيرة لآرائه، ولهذا يرى فناءه في الله رفع عنه كل صفاته وأصبح يتصف بصفات الله، وانطلاقا من هذا أنكر بعض الناس عليه وشهدوا بكفره وسعوا إلى قتله، ورغم كون "الحلاج" يقيم لهم الأعذار إلا أنه كان يريد أن يتخلص من هذه الدرجة

تمزج الخمرة بماء زلال
فإذا أنت أنا في كل حال
مزجت روحك في روحي كما
فإذا مسك شيء مسني

وظاهر هذه الأشعار - على حسب دلالة الألفاظ اللغوية - يفيد الحلول الصريح، وعملية الحلول حسب "الحلاج" تتم بعد عملية تهذيب الجسد بالطاعة، وشغل القلب بالأعمال الصالحة، وملك النفس عن الشهوات، ورياضة النفس تنتهي في الأخير بحلول روح الله لتعوض الروح الإنسانية التي فنت بالمجاهدة والرياضة.

ولقد ثار حول هذه النظرية جدل كبير، فذهب الكثير إلى اعتبار هذه النظرية من قبيل معتقدات "الحلاج" التي تناقض التوحيد وتخرجه عن دين الإسلام، وذهب آخرون إلى تأويل هذه المقولات واعتبروها من قبيل الشطحات التي تحمل المعنى الحسن، كما تحمل معنى القبح العقيدي.

4 - التنزيه:

يرى "الحلاج" أنّ الذات العليا لا تمتزج بالخالق، كما أن الخلق لا يمتزج بها لأنّ الذات الإلهية بألوهيتها وربوبيتها تتميز عن الخلق المحدث بالقدم، الذي اعتبره "الحلاج" علة المباينة. لذا ذهب

العليا من الفناء عن طريق الدّعاء، فيقول: «.. يا من لا تأخذه سنة ولا نوم، رد إليّ نفسي لئلا يفتن بي عبادك ..».

3 - الحلول ووحدة الوجود:

وردت عنه آثار تفيد امتزاج روح الله بالمخلوق، وهذا ما يعرف بالحلول، ويبدو أن "الحلاج" قد تأثر بالفكر الشيعي، ذلك لأن أصل الحلول عند المسلمين، إنما بدأ عند بعض الشيعة الغلاة، الذين اعتقدوا بأن روح الله حلّت في آدم ثم صارت إلى الأنبياء والأئمة في أزمانهم إلى أن انتهت إلى عليّ كرم الله وجهه وأولاده.

كما ظهرت على لسان "الحلاج" عبارات تفيد أنه لا يوجد في الكون خالق ومخلوق وإنما الكل واحد، وهذا ما يعرف بوحدة الوجود أو نفي الإثنين، ويعود أصل هذه النظرية إلى الحضارة الهندية. ومن هذا المنطلق قال بعضهم بأنّ "الحلاج" يقول بثنائية الطبيعة الإلهية، ومن شعره المشهور في الحلول:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا

نحن روحان حللنا بدنا

فإذا أبصرتني أبصرته

وإذا أبصرته أبصرتنا

وقال أيضا:

إلى تكفير من يقول بأن الذات الإلهية تمتزج بالذات البشرية، فيقول: «من ظنَّ أن الإلهية تمتزج بالبشرية، أو البشرية تمتزج بالإلهية فقد كفر، لأن الله تعالى تفرّد بذاته وصفاته، عن ذوات الخلق وصفاتهم».

ويرى "الحلاج" بأن القول بوجود الله في مكان، أو على مكان، أو متصل بمكان، فهو من قبيل الشرك، كما يصف بالشرك كل من زعم بأن الله يدخل تحت الصفة والنّعت، فإن وصف الله لا صفة له. وانطلاقاً من هذه الآراء ذهب بعضهم إلى القول بأن الحلاج كان يتبع منهج المعتزلة في تنزيه الله، بدليل قوله: «ومن زعم أن البارئ في مكان أو على مكان، أو متصل بمكان، أو يتصور على الضمير، أو يتحايّل في الوهام، أو يدخل تحت الصفة، أو النعت فقد أشرك».

لكن وردت أخبار عن "الحلاج" تفيد أنه خرج عن منهج المعتزلة، فلقد أكد "الحلاج" حينما صدر في حقه قرار القتل، بأنه على عقيدة أهل السنة، وهذا ما يبرز لنا أن "الحلاج" كان على عقيدة أهل السنة قبل ذلك. وهذا من خلال قوله بإثبات صفة القدم والبقاء، ويعتبر تأكيدهما إثباتاً للتوحيد، لقوله: «إن صفات البشرية هي الحجة

على ثبوت صفات الصمدية، وصفات الصمدية لسان الإشارة إلى فناء البشرية، وهما طريقان إلى معرفة الأصل الذي هو قوام التوحيد». "فالحلاج" إذن يبني عقيدة التنزيه على إثبات الصفة من غير تعطيل ولا تشبيه مثبتاً في ذلك اتجاهه السنّي في العقيدة.

وتجدر الإشارة هنا إلى التناقض الذي ورد في أفكار "الحلاج" فنجد في التنزيه يقول: «أن العبودية مستهلكة في الألّهية من غير مّمازجته ومن جهة أخرى نجد في الحلول يقول بامتزاج روح الله بالمخلوق، فهذا التناقض سببه فناء "الحلاج" عن نفسه، وفنائه عن فنائه فبات لا يشعر بنفسه في تلك الحال، ولا يشعر حتى بعدم شعوره، وهذا من فرط المحبة وشدة الوجد».

5- الحقيقة المحمدية:

يؤمن "الحلاج" بأن محمداً رسول الله ﷺ هو خاتم الأنبياء وأن الحجة الإلهية قد اكتملت به على جميع الخلق، ويرى بأنه: «ما كان في الآفاق ووراء الآفاق، ودون الآفاق، أظرف وأشرف وأعرف وأنصف، وأرأف وأخوف، وأعطف من صاحب هذه القضية، وهو سيّد البشرية الذي اسمه أحمد».

فالنظرية الحلاجية في النور المحمدي تقوم على أساس اعتبار أن محمدا ﷺ له صورتان: صورة نورانية قديمة كانت قبل أن تكون الأكوان، وصورة تتمثل في النبي المرسل، وهذه الصورة محدثة تعين وجودها في زمان ومكان محددين، ولهذا يعتبر الحلاج في رأي سرور "عبد الباقي" أنه أول من اجتاز حب الذات الإلهية إلى النور المحمدي في تاريخ التصوف الإسلامي.

6- الجبر ووحدة الأديان:

هما من أهم العقائد التي قررها الحلاج من خلال ما وصلنا من أخبار، فهي عقيدة الجبر المطلق الناجم عن الإرادة الإلهية التي تملك فعل الإنسان، فيرى "الحلاج" أن الله هو الذي وحد نفسه على لسان من شاء من عباده. وانطلاقا من هذا اعتبر "الحلاج" الكفر والإيمان يختلفان من حيث الاسم فقط وأما من حيث الحقيقة، فلا فرق بينهما. ويرى أن التفريق بينهما يعتبر كفرا، فقد ورد في كتاب أخبار الحلاج الذي حققه «Louis Massignon» و«Karwes» أنه قال:

كفرت بدين الله والكفر واجب لديّ وعند المسلمين قبيح

وأبرز ما نجم عن عقيدة الجبر عند "الحلاج" قوله بوحدة الأديان، رغم أنها لم ترد بكثرة كما هو شأن الآراء الأخرى، فوحدة الأديان عند "الحلاج" برزت حينما لام رجلا خاصم يهوديا وقال له: يا كلب فقال له "الحلاج": «يا بني، الأديان كلها لله عز وجل، شغل بكل دين طائفة لاختيار عليهم، فمن لام أحدا ببطلان ما هو عليه، فقد حكم أنه اختار ذلك لنفسه، وهذا مذهب القدرية، والقدرية مجوس هذه الأمة واعلم أن اليهودية والنصرانية، والإسلام غير ذلك من الأديان هي ألقاب مختلفة، وأسماء متغايرة، والمقصود منها لا يتغير ولا يختلف».

7- نظرة الحلاج إلى إبليس:

من خلال نص ورد في كتاب الطوسين نستخلص نظرة "الحلاج" لإبليس، وهي نظرة مخالفة لنظرة غيره، فلقد جعل منه عارفا بالله ولم يكن يوجد في أهل السماء موحد مثله. كما يراه عابدا لله، على الحقيقة أنه تخلص من كل حظوظ نفسه، وتجرد لعبادة الله وحده. ويرى "الحلاج" أن إبليس يقول بالجبر.

فلا بد من الرجوع إلى النار التي هي أصله، باعتبار أن الفرع يرجع إلى

ظاهر الشريعة، حتى يقدموا على قتله
بتهمة الزندقة فلقد قال :

ركبت البحر وانكسرت السفينة ولا البطاح أريد ولا المدينة

لقد كانت آراء الحلاج متنوعة فيما
يتعلق بالعقيدة والتصوف، ولقد
انتهى إلى نتائج متناقضة في الظاهر
نظرا للبواعث المختلفة التي كان يتكلم
بمقتضاها، فلقد قرر عقيدة التوحيد
بطريقة علمية عقلية على مذهب أهل
السنة، وفي الوقت نفسه صدرت منه
أقوال تفيد الحلول ووحدانية الوجود،
وهي تخالف عقيدة التنزيه عند أهل
السنة في الصميم، ويعود هذا إلى فرط
المحبة، والسكر الناجم عن الفناء، وبهذا
أول "أبو حامد الغزالي" أقوال "الحلاج"
التي توهم الحلول، ووحدانية الوجود،
فلقد اعتبرها من قبيل الشطح الصوفي،
وليس من قبيل العقائد. خاصة وأن قرائن
وردت عن الحلاج تفيد هذا الاتجاه.

كما كانت "للحلاج" آراء شذت به
عن جميع طوائف المسلمين، كراهيه في
إبليس، والحب المطلق، الذي نجم عن
فكرة وحدة الأديان، كما وردت أخبار
الحلاج تفيد استفزازه للناس في أمور
دينهم حتى يقدموا على قتله بتهمة
الزندقة، ويعود السبب في هذا إلى قوة

الأصل، وكل هذا بتقدير الله وحده،
ويرى الحلاج أن إبليس ترك السجود
لآدم، ليس عصيانا للأمر الإلهي، وإنما
كان الأمر ابتلاء، وفي هذا يقول إبليس -
حسب تصور الحلاج -: «... إن عذبنى
بناره أبد الأبد، ما سجدت لأحد، ولا
أذل لشخص وجسد، ولا أعرف ضدا
ولا ولدا، دعواي دعوة الصادقين، وإن
في الحب من الصادقين».

8 - خلاصه من الجسم :

لقد بلغ الحلاج درجة كبيرة من
المعرفة بالله، وصلت به إلى الشوق الذي
لا يرحم، ولا صبر معه في وصال الله، من
أجل ذلك اعتبر "الحلاج" حياته سجنا إذ
قال :

فها أنا في حبس الحياة ممنوع عن

الإنس فاقبضني إليك من الحبس

فكان الحلاج يطلب من الناس قتله،
حتى يرتاح من ذلك السجن، وتتم له
الحياة الحقيقية وفي هذا يقول :

اقتلوني يا ثقائي

إن في قتلي حياتي

ومماتي في حياتي

وحياتي في مماتي

ومن أجل خلاص الدنيا التي اعتبرها
"الحلاج" سجنا يحول بينه وبين وصال
الله، أخذ يستفز الناس بأقوال تخالف

الأولى فاتحة الكتاب، ثم قوله تعالى: ﴿لنبلونكم بشيء من الخوف والجوع﴾ [البقرة/157] وقرأ في الثانية فاتحة الكتاب، ثم قوله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت...﴾ [آل عمران/185].

فلما سلم دعا ربه قائلاً: «هؤلاء عبادك اجتمعوا لقتلي، تعصبا لدينك، وتقربا إليك فاغفر لهم، فإنك لو كشفت لهم ما كشفت لي ما فعلوا، ولو سترت عني ما سترت عنهم لما ابتليت، فلك الحمد فيما تفعل، ولك الحمد فيما تريد». وبعدما أتمّ الجلال ما كلف به، أنشد الحلاج:

ندي غير منسوب

إلى شيء من الحيف

دعاني ثم حياني

فعل الضيف بالضيف

فلما درأت الأس

دعا بالنطح والسيف

كذا من يشرب الراح

مع التنين في الصيف

وبقي الحلاج مصلوباً ثلاثة أيام، مقطوع اليدين والرجلين، حتى قدم "حامد" إلى الخشبة، وقرأ على الجميع أمر الخليفة بقتل الحلاج، بناء على فتوى الفقهاء التي تنص على أن في قتل "الحلاج" صلاح أمر المسلمين،

شوقه للقاء الله تعالى، باعتباره الجسد سجناً يحول بين "الحلاج" وبين الله ومن شأن هذا الأمر أن قلب كل الموازين في فهم أراء "الحلاج" ومذهبه الصوفي.

● المبحث الثاني : ●

حقيقة مقتل الحلاج

في يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من ذي القعدة 309 هـ، بدأ تنفيذ الحكم الصادر ضد "الحلاج"، بباب خراسان، بحضرة حشد كبير من سكان بغداد ومجلس الشرطة، فضرب "الحلاج" ألف سوط، وقطعت يداه ورجلاه، وصلب وهو لا زال حياً وأعدم في اليوم الموالي، لأن أمر الخليفة تأخر في الصدور فكان حكم الخليفة مستنداً إلى القضاة الذين أفتوا بقتله وأباحوا دمه. فلم يجد "الحلاج" ما يفعله غير إنشاده:

طلبت المستقر بكل أرض

فلم أر بأرض مستقراً

فنلت من الزمان ونال مني

وكان مناه حلواً ومراً

أطلعت مطامعي فاستبدتني

ولو أني قنعت لعشت حراً،

ولما وصل "الحلاج" إلى خشبة الصלב، طلب من "الشبلي" أن يعطيه سجادة، فصلى ركعتين، فقرأ في

وعقب ذلك أمر حامد الجلال بقطع رأس "الحلاج". ثم أحرق بالنار، وحمل رماده إلى رأس المنارة لتنسفه الريح.

محاكمة الحلاج:

صرح الحلاج بعد عودته من الحجة الأخيرة، برغبته في الموت، فقد أراد أن يموت كافرا بشريعة الإسلام، فأقام في بيته كعبة مصغرة، وفي الليل كان يصلي على القبور، أما في النهار فكان يجوب شوارع بغداد، ويصيح في أسواقها طالبا من أهل الإسلام إغاثة بقتله، وخلصه من نفسه التي أتعبت كثيرا، ثم أراد دعوة المؤمنين إلى القضاء على هذا العار، عار إنسان يجرؤ على القول على أنه اتحد بالله، فصاح بهم في الجامع المنصور: «اعلموا أن الله تعالى أباح لكم دمي فاقتلوني، اقتلوني تؤجروا وأستريح... ليس في الدنيا للمسلمين شغل أهم من قتلي». فاثارت هذه الأقوال شعور العامة، وبلبلت أفكار الناس، وجعلتهم يجدون صعوبة في الحكم على "الحلاج".

لكن السلطة كانت متأكدة من الخطورة التي يشكلها "الحلاج" على وجودها خاصة، عندما أخذ يتصل

بالناس، ويوثق صلته بطوائف من الجند، وبعض القادة والأمراء أبناء الأغنياء، بكيفية لم ترض عنها الخلافة، التي رأت أن في رأس "الحلاج" أهواء متعددة، وأنه يحاول أن يجعل من نفسه مصلحا دينيا، واجتماعيا وسياسيا، وأنه يلتمس طريقة إلى أمر عظيم، وإذا ما علمنا أن المهيمين على السلطة لم يكونوا على استعداد عقلي ونفسي لأن يسلموا للحلاج بمنهج الإصلاح، فقد اعتبروا مجيئه إنما ليزلزل نظاما، ويثير انقساما في المجتمع، هكذا فسرت السلطة أقوال "الحلاج"، ذلك أن علي بن عيسى "نقم على الحلاج الاهتمام بنصر الحاجب"، كما خاصمه بعض علماء الدين، وأخذوا ينشرون الشائعات حول عقيدته.

وسنذكر الشائعات والتهم التي اتهم بها "الحلاج"، فأول هذه التهم هي مراسلات الحلاج السرية مع القرامطة - أعداء الخلافة العباسية - لكن هذه التهمة ردها "ابن خلكان" باعتبار الثلاثة الذين ذكرهم إمام الحرمين الجويني "أقدموا على قلب الدولة والتعرض لإفسادها، وهم "الجنابي" و"ابن المقفع، إضافة إلى "الحلاج" لا يمكن اجتماعهم نظرا لفارق الزمن بينهم، فلا يعقل الاتفاق بين عبد الله ابن المقفع، كما كان "ابن خلكان"

لا يحرم ، بالتقاء "الحلاج" مع "الجنابي" رغم أنهما كانا في عصر واحد.

والتهمة الثانية هي قول "الحلاج": [إن الحق] وهذه مصدرها أمثال الجنيد الذي تنبأ بصلب الحلاج نتيجة قوله أن الحق وفي الواقع، أن هذا الموقف من "الجنيد" لا ينسجم مع موقفه اتجاه "أبي يزيد البسطامي" الذي قال كلاما في الحلاج فاعتذر له، وحمل شطحاته على محامل حسنة. وكانت نظرة الحلاج إلى شعيرة الحج تمثل التهمة الكبرى، والسبب المباشر الذي أدى إلى مصرع "الحلاج"، وكانت التهمة، بعد أن وجدوا له كتابا يقول فيه إن الإنسان إذا أراد الحج ولم يمكنه، بنى في بيته بيتا لا يلحقه شيئا من النجاسة، ولا يدخله، ومنع أحدا من يطرقه، فإذا حضرت أيام الحج طاف حوله طوافه حول البيت الحرام، فإذا انقضى ذلك وقضى من المناسك ما يقضي بمكة مثله فجمع ثلاثين يتما، وأطعمهم وأحضرهم، إلى ذلك البيت وتولى خدمتهم بنفسه، فإذا فرغوا من أكلهم وغسل أيدهم، كسا كل واحد منهم قميصا، ودفع إليه سبعة دراهم، فإذا فعل ذلك قام له مفتاح الحج.

والغريب في الأمر أن "للحلاج" آراء من هذا النوع في الصوم وفي الصلاة

والزكاة، ومنها أنه رأى أن الإنسان إذا صام ثلاثة أيام بلياليها ولم يفطر، أغنته عن رمضان، وإذا صلى في ليلة واحدة ركعتين من أول الليل إلى الغداة أغنته عن الصلاة بعد ذلك، وإن تصدق في يوم واحد لجميع ما ملكه في ذلك اليوم أغناه عن الزكاة، كما طلب "الحلاج" من المسلمين أن ترفع إليه هو الزكاة والصدقة. ومع هذا فلا يوجد أي أثر لهذه الآراء في محاكمته رغم كونها لا تقل خطورة عن رأيه في الحج... وتجدر الإشارة إلى أن الظاهر أن هذه الآراء الباطنية - إن صحّت عنه - مشهورة في العبادات الإسلامية عند صوفية من قبله، أمثال "أبي سعيد الحرّاز" بوصفه لأدب الصلاة بطريقة باطنية تكاد تخرجها عن طبيعتها، كما اشتهر الجنيد بهذا في باب الحج. أمّا الاتجاهات المستمدة من شطحات "الحلاج" وأقواله العشرين، فلم تكن من خصوصيات القضاء حينذاك، بدليل أن صوفية آخرين، "كالبسطام" و"السبلي" و"ذي النون المصري"، لم تعرّضهم شطحاتهم وأقوالهم إلى العقوبات، فكيف الأمر، وعقوبة "الحلاج" كانت القتل؟.

ويلوح لي أن الحلاج كتب "طاسين الأزل" بمناسبة دعاية كانت تسري في

القصر منذ (306) هـ التي صدرت أحد غلاة الشيعة وهو "الشلماعي" الذي أتى إلى بغداد بصحبة عامل واسط "حامد بن عباس" الذي كان يستشيريه في كل ما يهمه من أمور، على الرغم من أن حامدا كان سنيا ويظهر أن الشلمعاني هو من اقترح بعض التشديدات الغربية في تعذيب "الحلاج" بعدما استشاره "حامد" في إدانة "الحلاج"، ولا داعي لأن نتطرق إلى أدق الأحداث لأن أخبار مصرع الحلاج تملأ الكتب، وربما لأن الشيء الذي يهمنا نحن ليس التأريخ للمحاكمة، بل معرفة الأسباب التي دفعت إلى تلك المأساة .

لكن يجب أن نشير إلى أن المحاكمة الكبرى التي أقيمت بعد أن استطاع حامد أن يجمع أدلة أخرى، وعلماء آخرون من غير الشافعية الذين تسببوا في إبطال المحاكمة الأولى.

وتعمد الوزير عدم إحضار القاضي ابن سريج، لذا فإن مصرع "الحلاج" يعتبر حادثة فريدة في التاريخ الإسلامي، ذلك لأنه اتهم بالزندقة، وقتل من أجلها، لكن الواقع أن تلك المحاكمة ما كانت سوى ذريعة تذرعت بها السلطة لتتخلص من ذلك العالم الصوفي، الذي خرج من أعراف الصوفية، وراح يدعو

الناس إلى الإسلام.

دعوة كهذه لابد أن تصدم السلطة التي كانت على بعد كبير مما كان الحلاج يدعو الناس إليه ولهذا وجد الحلاج مؤامرات السلطة ودسائسها، ولئن استطاع "الحلاج" الخلاص من بعضها، بسبب مواقف بعض الضمائر الحية من أمثال القاضي "ابن سريج" إلا أن السلطة استطاعت أن تظفر به في المحاكمة الكبرى، وذلك بتغيب قضاة الشافعية وعلى رأسهم "ابن سريج"، وكل أنصار الحلاج من العلماء والصوفية، وبضغط من حامد على الفقهاء الذين حظروا وعلى رأسهم القاضي المالكي "أبي عمر" وانتهت المحاكمة بإصدار حكم قاس في محتواه، وفي كيفية تنفيذه على شيخ تجاوز السبعين عاما، واشتعل شعر رأسه ولحيته شيبا...

وفي الواقع ساهمت بعض مواقف الصوفية من الحلاج، في إقدام السلطة على قتله إذ هم أقرب الناس إلى فهم شطحاته، ومع ذلك شهدوا ضده، ونشروا تهما أخرى كاتهامه بسرقة كتاب العلوم الخاصة من عمر بن عثمان المكي، الذي كان يعلن الحرج، لأن قال بإمكانني تأليفه لمثل القرآن والتكلم به.